الفصل الرابع عشر

تغطية أخبار غير الرسميين

يستطيع المسئول الحكومى الذى يتلقى مرتبه من أموال دافعى الضرائب أن يتجنب وسائل الإعلام إذا شاء ذلك، إلا أنه يعرض نفسه لنقد شديد - إن هو فعل ذلك - عندما يتعلق الموضوع بأمور تؤثر فى الجمهور. وعندما تتصل بمسئول.. فأنت على قدر معين من الصواب، وأى شخص يدفع له من مال الشعب، هو أحد محاور الشد والجذب بين الصحافة والحكومة.

وعندما تغطى أخبار أناس خارج السلطة.. فإن حقك فى المرور إليهم يكون أقل وضوحاً، فيستطيع الفرد - إذا أراد - ببساطة أن يرفض التحدث معك.. إنه يستطيع أن يقول إنه مواطن خاص، ويرغب فى أن يظل كذلك، وإذا حاولت انتهاك هذه الخصوصية، دون إذنه.. فإنه يستطيع أن يقاضيك.

ومع ذلك.. ففى بعض الأحيان يكون المواطن الخاص، شخصية عامة أيضاً. وفى هذه الحالة يكون حقه فى الخصوصية أقل من غيره، وعندما يقبل المرء دوراً قيادياً فى أحد المجالات غير الحكومية مثل قطاع الأعمال والتعليم.. فإنه يخرج من نطاق المواطن العادى، وقد يغفر للمندوب إذا زاد من درجة الإصرار والجرأة فى ملاحقته. ويحتاج كثير من الصحافة التليفزيونية من المندوب أن يجرى مقابلات مع مواطنين، لا يؤدون دوراً رسمياً أو عاماً، وينتمى هؤلاء المواطنون إلى مستويات تعليمية، وخبرات وأجناس مختلفة، تتباين معتقداتهم ومواقفهم. ولابد أن يتعلم المندوب كيف يتعامل مع كل واحد منهم، ويستخرج منه المعلومات التى يريدها.

وموقف المندوب هو العامل الأول فى تحديد مدى نجاحه فى إقناع الشخص، الذى يقابله فى أن يتحدث، وأن يكون حديثه أميناً حراً.

ويلجأ بعض المندوبين إلى الجعجعة والتخويف؛ لإقناع الناس بالتحدث أمام الكاميرات؛ فهم يندفعون والميكروفون فى أيديهم ويوجهون أسئلة تتجاوز حدود الأدب إلى حد الإهانة أحياناً، ويحبون أن يكون استفسارهم بلهجة شديدة، على أمل أن هذا الأسلوب كفيل بإظهار الحقيقة. وغالباً.. فإن الذى يظهر - فى هذه الحالة - ضرب من الانفعال وليس المادة الإعلامية؛ فالشخص الذى يتعرض لمثل هذا الموقف إنما يؤخذ على غرة، ويحتمل أن يظهر فى صورة سيئة من الغضب أو ضيق الصدر.

ويستمتع بعض المندوبين عندما يُضيِّقون الخناق على الآخرين، ويدفعونهم الى وضع سئ؛ لأن ذلك يظهرهم أهل شكيمة لا يتزحزحون. ومن المؤسف أن بعض القيادات التليفزيونية توافق على هذا السلوك، بل وتشجعه، على أساس أن مندوبيهم يصبحون بذلك من الشخصيات التى لا تُنسى، والتى تجذب المشاهدين. ومن العسير أن تجد صلة لهذا السلوك بواجبات ومسئوليات المندوب؛ من حيث إعلام الجمهور.

ومع ذلك ففى بعض الأحيان.. يستلزم الأمر أن تكون شديداً وحاسماً؛ فلو أن شخصية مهمة كانت تتجنبك أو تقيم الحواجز دونك.. فقد تجد نفسك مضطراً لأن تلجأ إلى تكتيكات حرب العصابات. إلا أنه ينبغى إدخار هذه الأساليب للأخبار المهمة والمعلومات الجوهرية، التى لايمكن الحصول عليها بطريقة أخرى. وحتى فى هذه الحالة.. لابد أن تكون على مستوى أخلاقيات المهنة، وتعامل مصدرك بتقدير واحترام يليقان بمركزه.

وعلى الطرف المناقض لهذا الإجراء.. يسهل جداً إحباط بعض المندوبين عن متابعة المقابلة، فينسحبون بمجرد سماع كلمة «لا»، وتضيع منهم فرص كثيرة ممتازة. وفى بعض المناسبات.. لا تتعدى كلمة «لا» أن تكون رد فعل عفوى، وقد تكون تعبيراً عن الخجل. وقد يقول المواطن: من، أنا؟ ولماذا أنا؟ ويصرفك، وبقليل جداً من المثابرة.. قد تستطيع أن تقنع هذا الشخص نفسه بالموافقة، وأنه يستحق الاهتمام.

ومن الواضح أن هناك أنواعاً كثيرة من المقابلات والمواقف الإخبارية، بقدر ما هناك من أخبار. وعلى المندوب الجيد أن تكون لديه حساسية فائقة، إزاء الاختلافات الدقيقة بين الظروف وسلوك الأشخاص أيضاً. وقد يكون المدخل أنك تريد أن تتملق من تحدثه، أو أن تقنعه بأنه مهم وأن ما يقوله يعتد به، أو أن تعزف على رغبته فى أن يشكل الأحداث مع أنه يبدى شيئاً آخر. وقد تقنعه بلطف أنه عندما يتحدث.. إنما يؤدى خدمة عامة ويساعد الآخرين. باختصار.. يجب أن تكون - إلى حد ما - طبيباً نفسياً تبحث عن مفتاح.

وتذكر أن الكاميرا فى حد ذاتها يمكن أن تكون مصدر تخويف. واحتمال مواجهة الكاميرا فى مقابلة مسجلة أمر يخيف الشخص، الذى لم يألف معدات التصوير والفنيين، أو البوح بما فى نفسه على هذا النحو. وحتى تمهد الطريق لمن تحدثه.. كن لطيفاً ودوداً مسالماً، واجتهد فى إقناعه بأن الموقف ليس صعباً إلى هذا الحد.

وتذكر أن حقيقة كونك مندوب تليفزيون، وربما ذو وجه مألوف لمن تحدثه، قد يصيبه بالتجمد فلا ينطق. فلست روبين سميث الإنسانة، وإنما مندوبة التليفزيون، ولذلك.. فإن مهمتك أن تقدمى نفسك كمخلوق عادى مجرد من الأبهة، ولم يهبط من علياء التليفزيون. وحتى تحققى المودة.. فإنك فى حاجة إلى أن تتذكرى أن المندوبة التى أحاطت بها شهرتها ولاتستطيع أن تتغافل عنها، يمكن أن تدمر قدرتها على التحدث إلى المواطنين على إختلاف ألوانهم ومشاربهم.

لا تتعال فى حديثك مع الناس، ولا تنظر إليهم من أعلى، وكأنهم شئ أدنى. إنك فى حاجة إلى أن تكون بسيطاً فى حديثك، مباشراً بعيداً عن التقعر الأكاديمى؛ حتى يستطيع الناس أن يفهموا ما تقول. وفى الوقت نفسه كن حريصاً ألا تتغطرس أو تفرض الوصاية؛ فالمواطن العادى أحسن كثيراً مما تعتقد.

وأول ما يجب عليك أن تحاوله، طمأنة محدثك. ويجرى هنا شئ من المرح وروح الدعابة، وكذلك شعورك أنت أيضاً بالإرتياح. فإذا كنت فى عجلة وقلق.. فإن توترك ينتقل إلى من تتحدث معه، وستلحقه العصبية هو أيضاً. إنك بحاجة إلى أن تقيم الرباط الإنسانى بينكما على النحو الذى يتيح لكما أن تتواصلا وتتحدثا بارتياح وروية ملمرة.

إن مهمتك تستدعى أن تستخرج ما لدى الشخص الذى تحادثه، ولكن يجب أن تكون حريصاً ألا توحى إليه بالأفكار أو تلقنه ما يقول، أو تضع الكلمات فى فمه.. فهنا يكمن الخطر، فأنت وقد تدبرت الموقف سلفاً فى رأسك أو خططته وتمثلت كيف يكون الخبر، والفقرة التى تريدها من محدثك.. فإنك تصر عليها حتى لو كانت خلاف ما يريده.

وهذه هى أسوأ حالات الصحافة التليفزيونية. فجة، خادعة. ولاشك أنك رأيت شيئاً من هذا يحدث على الهواء. المندوب يقول :

إنك تشعر بالغضب. أليس كذلك؟ نعم.

وتريد أن تنتقم منه؟ نعم.

وستجد طريقة للنيل منه؟ بكل تأكيد.

والخطأ هنا هو أن المندوب، كما يفعل بعض المحامين، يقود الشاهد؛ فهو يشكل أسئلته على نحو يغرى محدثه بمسايرته. كما أن الأسئلة مصاغة؛ بحيث يكون الرد عليها «بنعم» أو «لا»؛ بدلاً من الإيضاح الكامل بالتعبير الحر.

ويمكن الحصول على المعلومات نفسها لو طرحت الأسئلة على النحو التالى : ماذا تشعر؟ وماذا تريد أن تفعل؟ وما الذى ستفعله؟ فلو أن من تحادثه غاضب ويدبر للانتقام، فقد عرف المندوب ذلك، ولكن بأسلوب أكثر حيدة وأمانة وهو يختلف عن الطرح الأول.

وقد تحدث مفاجأة؛ فقد لا يكون الشخص الذى تحادثه غاضباً وربما تكون الحقيقة أنه يشعر بالإشفاق أو الأسف، وربما يكون قد عفا. وستقلب هذه الإجابة غير المتوقعة خطط المندوب رأساً على عقب؛ فهنا يواجه المندوب بحقيقة أن الخبر ليس نصاً مكتوباً كما فى المسرحيات، والطبيعى أن يتابع المندوب الخبر كما يحدث وليس كما يتصور.

ويصر بعض المندوبين على تشكيل الخبر بالفيديو كما يريدون؛ بحيث يجرون «بروفات» على مقاطع من المقابلة أو الحدث نفسه، ويقعون أسرى للوسيلة، ولتذهب إلى الجحيم أمانة الرسالة. وهذا مسلك غير أخلاقى، ويستدعى رفض الخبر فى محطات التليفزيون الأكثر احتراماً.

ومع ذلك.. فإن بعض نقاد أخبار التليفزيون يبالغون كثيراً فى مسألة البروفة أو الإعادة، فليس أمراً مرفوضا فى كل الأحوال أن تطلب إلى محدثك اختصار الإجابة على نفس السؤال، الذى قد تكون سألته من قبل. فأنت لا تضع الكلمات فى فمه ولا تغير مما يقول. وإنما تطلب إليه أن يعيد ما يقول، ولكن باختصار، تماماً كما تطلب من الكاتب الصحفى أن يختصر بحسب المساحة المتاحة، فلا ضير فى ذلك مادمت لا تطلب تغيير المضمون.

ويميل المندوب العادى إلى التعاطف مع الشاب الصغير، ولا خطأ فى ذلك ما دام لا يؤثر فى الموضوعية المهنية. وكل ما عليك أن تتحرى صدق المعلومات، حتى لو جاءت من مصدر تتعاطف معه. وأنت تعرف أن الشبان الصغار يكذبون حتى يجملون صورتهم أمام الكاميرا، ولابد أن تطبق معياراً صارماً فى قياس مدى صدقهم، تماماً كما تفعل مع أصحاب المناصب الكبيرة.

كيف تستطيع ذلك دون أن تخيف من تحدثه؟ عليك أن تطلب التحديد والدليل والبرهان، ولكن دون أن تبدو ممثلاً للإدعاء أو وكيلاً للنيابة. والأسلوب المناسب هو : سيدتى.. إننى أقوم بواجبى فقط ...

وللتعميمات والآراء مكانها فى الأخبار، إلا أن الحقائق والأمور المحددة هى خلاصتها. وكثيراً ما يهتم التليفزيون بالصخب والانفعال الفارغ، ولكن يظل الخبر المفصل المقنع بالدليل، هو الذى يزيد فهم الجمهور، ورصيده من المعرفة.

وأقولها ثانية.. عليك أن تتذكر لماذا تفعل ما تفعل. وليس من أهدافك أن تنحاز إلى الشاب الصغير أو المسئول الكبير. فهدفك الاستجلاء، وكشف الأكاذيب الدقيقة، وإلقاء الضوء على الجوانب المظلمة. عليك توجيه الأسئلة النافذة، الأسئلة السديدة، لتدفع محدثك أن يواجه حقائقه بدلاً من أمانيه.

ويحلو لبعض الأشخاص أن يلعبوا دور الضحية. ومن الأسهل على المرء أن يلوم والديه أو ظروفه، وربما المجتمع كله، بدلاً من أن يلوم نفسه، وليس من الشائع فى هذا الزمن أن يحمّل المرء نفسه بعض المسئولية فيما يواجه من أزمات. وتستند معظم الأخبار على افتراض أن كل

حدث ليس وراءه سوى سبب اجتماعى، وقد يدفع هذا الفهم بالمندوب إلى البحث عن كبش فداء رسمى، فى حين تكون الحقيقة غير ذلك.

ولو سألت مواطناً عادياً يواجه مشكلة: على من يقع اللوم؟ فإنه يجد من يلوم أو ما يلوم. ولكنك لو سألته بدلاً من ذلك - تقريراً مفصلا - كيف وصل إلى ما هو فيه، وماذا فعل، وما لم يفعل؟ فمن المحتمل - عندئذ - أن تصل أكثر إلى الحقيقة. وليس ذلك اعتراضاً على القضية المنطقية فى أن كثيراً من المشكلات الشخصية ينشأ لأسباب اجتماعية وسياسية. وكل ما فى الأمر ألا تفترض ابتداءً أن السبب الاجتماعى هو العامل الأول فى كل موضوع. إن الحياة أكثر من ذلك تعقيداً، ونحن إنما ننتقص من استقلالية الفرد وكيانه، عندما نحوله إلى مجرد وليد للقوى الاجتماعية.

وللتليفزيون قوة هائلة فى كشف فردية البشر، وتعقد العالم الحقيقى، والطريقة التى تتفاعل بها القوى الاجتماعية مع الفرد. إن المندوب الذى يتعامل مع المواطن العادى؛ بحثاً عن كبش فداء اجتماعى، إنما يبالغ فى تبسيط الحقيقة. إن الإحساس الذكى المتوازن بسلطان العوامل السياسية والاجتماعية وحدودها فى إحداث التغيير، سوف يساعد المندوب على تحقيق النضج والمسئولية فى عمله.

إن درجة التشكك المناسبة يمكن تطبيقها على كل من تتصل بهم، حتى من يزعمون أنهم فوق النقد، وأنهم من الرموز المقدسة. كما أن الاعتقاد بأن حل المشكلات يستلزم إنفاق أموال طائلة هو نقطة فى الموضوع.

وأفضل المندوبين هو من يتخذ موقفاً وسطاً بين التحرر والتحفظ... إنه يرى أن الأمور تتحول وتتبدل، وأن الأفكار القديمة التى سادت زمناً لم تعد صالحة، وأن ثمة نظرة أخرى قد جدت. وإذا أراد أن يحسن عمله.. فليجرد نفسه من العقلية الجماعية، ويثير الأسئلة التى تهاجم القضاياوالمشكلات من زوايا مختلفة غير متوقعة؛ متوجهاً بها إلى المواطن العادى، أسوة بالمسئول العام.

ويتضح لك مما سبق.. أن التعاطف مقبول ولكن دون انحياز؛ فالمندوب ليس أداة لفلسفته أو فلسفة غيره. وفى معرض قياسه لما هو قائم بما هو ممكن.. فإنه يحتاج إلى الالتزام فى المقارنة بحدود ما هو ممكن. وفى العالم الفاضل، أو عالم الكمال.. لا مكان للألم أو الفقر أو

البطالة أو الحزن، ولكن العالم ليس كاملاً وكذلك الناس. ومهمة المندوب أن يُعلِم عن الأحداث، وأن يشرحها ولكن بوعى وواقعية. إن عدداً قليلاً جداً من القضايا ينقسم بوضوح بين جانب مطلق فى خيره وآخر مطلق فى شره؛ فهناك صراع فى كل جانب.

ويحتاج المندوب فى التعامل مع الناس أن يفهم إلى أى شئ ينتمى الشخص، ومن أين هو قادم، وأن يحترم حقيقة أن قيم هذا الشخص ونظرته إلى العالم قد تختلف اختلافاً جوهرياً مع ما يراه هو. وفى الوقت نفسه.. لابد أن يدرك المندوب أنه من الأسهل على محدثه أن يشن هجوماً كلامياً عن أن يقدم حلولاً محددة. وتقتضينا الصحافة الجيدة أن نتحول من الكلام السطحى السهل إلى إيضاح البدائل والخطوات اللازمة لإحداث التغيير. وسوف يطلب المندوب التليفزيونى الجيد من محدثه أن يواجه مشكلات الطرف الآخر، ويوضح كيف يمكنه التعامل معها.

كذلك.. يحتاج المندوب إلى أن يتلمس مصدر غضب من يحدثه. وفى بعض الأخبار.. يكون الهدف المختار هو الأسهل أو الأقرب، فى حين قد تكون الحقيقة هى أن الفرد غاضب من نفسه؛ لأنه لم ينجح. ومن الواضح أنه لابد من تقييم المصادر التى يتوجه إليها المندوب؛ للتحرى فى موضوع أو خبر. ويستهوى أخبار التليفزيون - بالذات - أن تتجه إلى الشخص الأفصح والأعلى صوتاً والأكثر استعداداً، وهكذا.. تسبق الحاجة إلى المظهر، الحاجة إلى الحقيقة. وغالباً ما يؤثر التليفزيون الأكثر تطرفاً؛ لأن ذلك يبسط الأمور، ويوضحها بالضرورة. إن الأخبار التى تعتمد على: إنه قال هذا ولكنها قالت ذلك، تنطوى على تكثيف وطابع درامى، إلا أنه مالم يعقبها إيضاح، يكشف عن مواطن الفشل والزلل، ومجالات الحلول الوسط.. فإنها تنتهى إلى الخضوع للعاطفة دون العقل وتسئ إلى الجمهور.

وفى بعض الأحيان.. تصادف شخصاً يهاجم «النظام» وعادة ما تكون الشكاوى ضد النظام عامة جداً، وهلامية، غير محددة المعالم. وقبل إذاعة مثل هذه الشكوى.. عليك أن تسأل محدثك أن يحدد ماذا يعنى بالنظام، وأن يحدد أى قطاع فيه، هو المفتقر إلى الإنصاف، وكيف يمكن أن يتصرف لو أمكن له ذلك. وإياك أن تقلل من قوة المقابلة التليفزيونية، فى حمل المتحدث على أن يرى ثقوب قضيته، أو فحص ما ينطوى عليه موقفه. وينطبق هذا

على المواطن العادى كما ينطبق على المسئولين. ولابد لكل من يشارك فى برنامج إخبارى بالتليفزيون أن يكون قد راجع موقفه.

ولابد أن تكون لدى المندوب قدرة على أن يميز بين المهم، وبين المحورى فى الموضوع، وأن يقود محدثه فى هذا الاتجاه. ومن السهل جداً - فى التليفزيون خصوصاً - الرضا بحلاوة اللسان والقشور المبهجة، وترك صلب الموضوع دون أن يمس. وقد تكون هناك ثروات مذهلة وكامنة، دفينة فى عقول المواطنين العاديين وقلوبهم، لا تستلزم منك للكشف عنها إلا أن تسأل. وكتاب ستدز تيركل Studs Terkel الرائع «العمل» تأكيد لهذه الحقيقة.. إن التعليقات القيمة لعمال الصلب والمضيفات والبائعين، والمواطنين العاديين من كل آفاق الحياة تبين ما يمكن أن تكشف عنه الصحافة الجيدة والمقابلات الذكية. لابد أن تعمل لإزاحة الغيوم، وأن تنفذ إلى ما وراء الخرافة، وأن تسعى إلى المفهوم الأوسع لما يقال لك.

ومن بين جوائزك - كصحفى - أنك تتعلم باستمرار، ومن المهم أن يكون لك عقل مفتوح دائماً، وأن تتوفر لديك الرغبة لاقتفاء أثر المعلومات التى لم تتوقعها ولم ترد سماعها. ولدى بعض المندوبين أفكار مسبقة عن الشاب الطيب والشاب الشرير، ومن ثم.. يقعون فيما أسماه وليام سافير William Safire أحد كتاب الأعمدة فى صحيفة نيويورك تايمز New York Times «الانتقاء الاختيارى للخطأ»؛ لأن ما تُعلم عنه، عندئذ يكون ثنائى المستوى؛ حيث يهاجم المندوب من يعتقد أنهم لا يستحقون، ويميل مع من يعتقد أنهم يمثلون الجانب الطيب. وهنا يحدث القصور فى فهم حركة المجتمع؛ لأن المشاهد يحصل على صورة واحدة من العالم الحقيقى، تمثل المفهوم الشخصى للمندوب، وبالقطع ليست هذه مهمة الصحافة المنصفة.